بسم الله الرحمن الرحيم

المستّوي: ماستّر1 الأستادة: وافيّة مغزّي

السنّة الدراسيّة:2019-2020

مشكلّة علاقة العلوم الإنسانيّة بالتّيارات الفلسفيّة والدينيّة المواكبة لتّطوّرها

المحاضرة"2"

تمهيد:

العلوم الإنسانيّة هي نمط من العلوم الخاصّة ، تروم دراسة النّشاط الإنسانّي دراسة إخبارية إن كان فرديّا أوجماعيّا بهدف الوصف والتّفسير ومن ثمّ التّنبأ والتّحكم .

هذه العلوم ارتبطت حال تكونّها حتّى تطوّرها بالتّيارات الفلسفيّة والدينيّة ، كالتّيار المادي أوالوضعي ، والتّيار الإلحادي أو الإيماني . والواقف على تاريخ هذه العلوم يلحظ استحالة خلع الباحث لعباءته خلف باب مختبره رغم محاولاته العديدة للتّخلص من ذلك. فضلا على تأثير المحددّات البيئيّة والإجتماعيّة على مجريات البحث العلمي. الأمر الذي يجعل ما تنشده هذه العلوم من موضوعية خرافة بتعبير"عبد الوهاب المسيري" لطالما تشدّق بها هؤلاء دون أن يحرزوا فيها تقدّما أوتوفيقا ملحوظا .

فإذا كانت العلوم الإنسانيّة تتّسم بالذاتيّة لإرتباطها بالذوات المفكّرة المتّعددة، فكيف تحقّق الموضوعيّة؟

التّيارات الفلسفية والدينيّة والعلوم الإنسانيّة :

التّيار المثالي والفلسفة الوضعية :"أوجست كونت1798-1857 "نموذجا :

يمثّله الفيلسوف وعالم الإجتّماع الفرنسي **"أوجست كونت"** ومريدي الفلسفة الوضعيّة .يتبنى هذا التّيار توجها مثّاليا يعلي من شأن المنهج التّجريبي كأوثق السبل وأوحدها لدراسة العلوم الإنسانيّة . ليدلي **"كونت"** بمشروعه العلمي الرّامي إلى فيزيأة علم الإجتّماع بناءا على تأثره بالنزّعة النّقدية التّي كان يروّج لها فلاسفة عصر الأنوار . ونظرا لتفوق العلم الطبيعي الفيزيائي ومنهجه التّجريبي على باقي العلوم الأخرى أقدم **"كونت"** على تطبيق المنهج التّجريبي على الظواهرالإجتّماعيّة. فتّوصل إلى أنّ موضوع علم الإجتّماع ينقسم إلى قسمين: الإستاتيكا الإجتّماعيّة والديناميكا الإجتّماعيّة .الأول يبحث عن القانون الذي يحقّق النّظام ويفرضه داخل المجتّمع .في حين أنّ الثّاني يبحث في قوانين التّقدم للمجتّمع .

يعتّمد التّطوروالتّقدّم الإجتّماعي على المعرفة الوضعية (العلمية) بالظواهر الإجتّماعيّة . والتّطور الإجتّماعي يحدث بفضل التّطور العقلي. هذا الأخير تتّحرّك فيه ثلاث وظائف :(الوجدان، العمل، التّفكير والإدراك) حيث نجد:

الجانب الوجدانّي: مرّبثلاث مراحل:

-عاطفة الإيثار : عائليّة موجهة نحوالأسرى في العصور الأولى

-عاطفة الإيثار: اتسع نطاقها في العصور الوسطى لتّصبح موجهة نحو الدولة

-عاطفة الإيثار: في العصور الوضعيّة سوف يتّجه نحو الإنسانيّة

الجانب العملي : مرّ بثلاث مراحل:

الغزو

الدفاع

الصنّاعة

الجانب الإدراكي : وهو قانون الأحوال الثلاث المشهور، يتضمن أيضا ثلاث مراحل:

المرحلة اللاهوتيّة : تّفسير ظاهرة اجتّماعية بسبب مفارق للظاهرة.

المرحلة الميثافيزيقية: تفسير ظاهرة اجتّماعيّة بسبب كامن في الظاهرة.

المرحلة الوضعيّة : تفسير ظاهرة اجتّماعيّة بظاهرة اجتّماعيّة أخرى.

وعلى هذا التّصنيف اعتبر **" كونت"** أنّ التّفكير الماقبل وضعي ينبغي إقصاؤه من عمليّة البحث العلمي الرّصين . وعلى علماء الإجتّماع أن يصغوا لصوت العلم ولا يصدّقوا إلاّه. لكن المتّمعن في نظريته عن التّقدّم يلحظ أنّها لامست التّقدّم ملامسة سطحيّة ، فالفيلسوف لم يدرس كل المجتّمعات واكتّفى بدراسة المجتّمع الغربي وخصوصا الفرنسي الذي كان يشيع فيه الإلحاد والماديّة وعمّم نتائج أبحاثه على مجتّمعات لم يدرسها وعلى أزمان لم يدركها . خطأ منهجي يدّل على فساد النظرية .

ربما يرّد انزلاقه المنهجي لتأثره بفلسفة الأنوار.وبالمقارنة بينه وبين مريده نجده أقل تطرّفا منهم .فهم أرادوا إخضاع كلّ العلوم اللإنسانيّة إلى المنهج التّجريبي اقتداءا بمثاليات العلم الطبيعي . تحديدا هذا مانطلق عليه بالفلسفة الوضعيّة التّي انتشرت انتشارا سريعا في القرن التّاسع عشر .لكن مع حلول القرن العشرين شهدت الوضعية هزات ابستمولوجية لمست

ذات المنهج الذي طمعت في تعميمه ،فظهرت مناهج جديدة تزاحم المنهج الكلاسيكي في مرتبته ، كما شهدنا عودة الدّين ليواكب التّطوات الإجتّماعيّة الحاصلة بفضل العلم.

التيار المادي في علم اللإجتماع : "كارل ماركس1818-1883" نموذجا :

في المنظور الماركسي ، الحياة الواقعية تسبق التّمثلات الذهنيّة ، والإيديولوجيا ليست سوى خيال علمي انعكس في الواقع عبر ممارسات الأفراد ، لذا فهي تشوّه الواقع ، ثمّ العلم.لذا نجده في كتابه "الإيديولوجيا الألمانية " يهاجم الإيديولوجيا بحماس شديد ، ثم يخضعها للمنهج التّفكيكي في كتّابه" رأس المال" ليعرّي أطماع الطبقة البورجوازية التّي جعلت من علم الإجتّماع الوضعي جسرا تعبر به إلى مصالحها الخاصة التّي ادعت أنها مصالح العامة . لذا جاء ردّ "كارل ماركس" ثوريا ، وحدها الثورة من ستضع الأمور في نصابها المطلوب ، وفي مقابل علم الإجتّماع الوضعي الستاتيكي أسس" ماركس" علم اجتّماع جديد ديناميكي يخلص عامة الشعب"خصوصا العمال" من سطوة أرباب المال مبدئيا ثم تلي ذلك القضاء على الطبقية المجتمعية بالإنتّقال من المجتمع الإشتّراكي إلى المجتّمع الشيوعي أين تتحقق اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة.

وبهذا طمح "ماركس"إلى نهاية علمية أين تختفي الإيدولوجيا بظهور اللاّطبقية ، لكنّه تحرّر من التّشويه **الإيديولوجي وانصاع للمصالح الإيديولوجية البروليتارية(العمّال) . وبالتّالي نقده لعلم الإجتّماع الوضعي بلا معنى ، فإذا كان اعتزاف "أوجست كونت" بوقوعه في مطب الإيديولوجيا المنافية لخصائص العلم الوضعي سوّغت "لماركس" إنشاء علم اجتماع مفلترمن الإيديولوجيا لم تمنعه من الوقوع في نفس المطب.**

التّيار الظواهري الفلسفي: "إدموند هوسرل 1891-1938" نموذجا

هي فلسفة خرجت من أعطاف القرن العشرين تسعى لهدم الهوَّة بين العلوم الطبيعيّة والعلوم الإنسانيّة ، بمعنى الطريق الثالث الذي سوف يجمع بين المثاليّة والماديّة ، الطريق الذي شقّه (هوسرل ،دلتّاي) ، على اعتبار أنّ التّجربة الحيّة هي المدخل الوحيد للعلم متجاوزة النظرة الأحادية لنطاق المادة أوالعقل.

الفلسفة الظواهرية كغيرها من الفلسفات جاءت لتناهض مثاليّات العلم الطبيعي الكلاسيكي لأنّه يُشيّء الإنسان ويحيله لمجرّد آلة . برأيها الفلسفة الوضعية مناقضة للعلم ، فثمة أخطاء منهجية وقع فيها الوضعيون من علماء الإجتّماع والسّلوكيين من علماء النّفس كونهم لم يستوعبوا الثورة العلميّة المعاصرة (النسبيّة. الكوانتم) التي قوّضت من غلواء العلم الطبيعي ومبدئه الحتميّة . فنجدهم يتبنون الإنبريقية كمنهج علمي لدراسة الظاهرات الإنسانية على حساب طبيعة العلم المبدعة والخلاقة . فاصطدمت بمشكلة تخلف العلوم الإنسانية عن

العلوم الطبيعية لأنّ طبيعة موضوعاتهما غير متجانسة . فاكتفت بالوصف ولم تتمكن من الإنتقال إلى التفسير. فبقي المشكل وانتفى الحلّ.

والمنهج الفينومينولوجي أراده أتباعه حل لهذه المشكلة على أساس المنحى التركيبي الذي يعتمده بين قطبي (التجربة ،العقل) ، (المادة، العقل) و (الذات، الموضوع) . غيرأننا نعتقد أن هذا المنهج لا يمكن أن يجدي نفعا في تحليلات علم الإقتّصاد أوالتّفسير في علم الإجتّماع أو الفروق الفردية في علم النّفس لأنه منهج أكثر منه مذهب فلسفي. ولأنّ موضوعات العلوم الإنسانيّة مرتبطة بعنصر الوعي غير المستقر، فلا يستطيع الباحث التّحررالتام من المؤثرات الخارجية الدخيلة على العلم .سواء أكانت حضارية، ثقافية ، اجتماعبة ,,,,إلخ .

ومرة أخرى يفشل تيار آخر في تحقيق الموضوعية للعلوم الإنسانيّة ، لكنه كشف لنا عن طبيعة هذه العلوم وما يلحقها من تعقيدات وصعوبات في الدراسة والتّجريب العلميين.

<u>الإستّنتاج:</u>

نستّنتج ممّا تقدّم أنّ الموضوعيّة في العلوم الإنسانيّة حلم طوباوي لم يتّحقق على أرض الواقع لأنّ هذه العلوم أشدّ التصاقا من غيرها بالتّيارات الفلسفيّة والدينيّة التّي واكبت تطوّرها . والمحاولات البشرية لوضع هذه العلوم على طريق العلميّة كشفت لنا عن خصائص الظاهرات الإنسانيّة ومدى صلتّها بالفكر الإنساني على اختلاف تصنيفاته ،هذه الأبحاث قد تسهم في تقّدم هذه العلوم في المستقبل .